



كانت إسكندرية أخرى: قصص شفهي لمدينة كوزمبوليتانية

د/ سحر حمودة

مكتبة الإسكندرية

Meeting: 108-2 Genealogy and Local History with Audiovisual and
Multimedia (2)
Simultaneous Interpretation: Yes

**WORLD LIBRARY AND INFORMATION CONGRESS: 73RD IFLA GENERAL CONFERENCE AND
COUNCIL**
19-23 August 2007, Durban, South Africa
<http://www.ifla.org/iv/ifla73/index.htm>

مستخلص

تصف هذه الورقة جهود مركز دراسات الإسكندرية وحضارة البحر المتوسط ومبادراته في تسجيل التاريخ الاجتماعي للإسكندرية الكوزمبوليتانية الذي انتهى عصره في ستينيات القرن الماضي وذلك من خلال ذكريات أناس عاشوا تلك الفترة. تروي الحكايات حوارات شفوية مكثفة حرصت الكاتبة على الحفاظ عليها لإنعاش ذكراها لدى الأجيال القادمة.

المدينة:

لا توجد هناك مدينة بهذا المدخل الرائع للتاريخ كما يقول فورستر، لأن مؤسسها هو الإسكندر الأكبر. إنها المدينة الكلاسيكية التي يستمر فيها فاروس والمكتبة دوماً رموزاً للتنوير والعلم، والتي شهدت دراما كليوباترا وأنطونيو الخالدة. إنها ليست هذه الإسكندرية التي أود الكتابة عنها، بل هي مدينة لا تقل عن القديمة أهمية، والتي لها سحرها الخاص بها. إنها المدينة الكوزمبوليتانية في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين التي بهرت كتاباً مثل كفاي وفورستر وداريل، والتي ما زالت تروق للكتاب والرحالة والسائحين العاديين، مع العلم بأنه لا يوجد إلا القليل من البقايا المادية لتبرهن أنها كانت موجودة يوماً.
بعث محمد علي الإسكندرية الكوزمبوليتانية إلى الحياة بعد انحدار طويل، هو الضابط العثماني الذي نودي إليه من مقدونيا، مثله مثل الاسكندر الأكبر (حكم من 1805 إلى 1847) وهو باعث مصر الحديثة دون جدال.

وتحت حكمه، انتعشت الإسكندرية من مدينة منسية إلى مدينة رئيسية علي البحر المتوسط.
هرع إليها مئات الآلاف من الأجانب (لم يطلق عليهم اسم لاجئين آنذاك) بحثاً عن الفرص والأمان، وقد فتحت لهم الإسكندرية ذراعيها، وبالمقابل، شيدوا وزينوا وأثروا المدينة مادياً وثقافياً. ولمدة مائة وخمسين عاماً، استمرت الإسكندرية مدينة متعددة الأعراق، والطوائف واللغات يعيش فيها الأجانب في مدينتهم بالتبني بتناغم مع المصريين. إلا أن هذه الكوزمبوليتانية لم تكن لتستمر في الحياة مع تواجد الأحداث السياسية المتلاحقة: الحرب العالمية الثانية، العدوان الثلاثي على قناة السويس عام 1956 وتأميمات عبد الناصر الاشتراكية. وقد شهدت الستينيات هجرة جماعية

وضعت نهاية لتعدد الثقافات السكانية للإسكندرية، ومن تبقى منهم انقلب إلي مجموعات مهمشة غريبة الأطوار من كبار السن تعيش علي أطراف مجتمع عربي مسلم بعد أن كانوا وجهاء المجتمع ونخبه.

القصص: حكايات بدون كتابة

هذا، بأسطر قليلة هو تاريخ الإسكندرية. سأقوم بسرد الحكاية كما قصها علينا السكندريون، الحكاية غير المكتوبة لكنها حية في ذكريات مجتمع أخذ بالزوال. علي مدي عامين سجلنا علي شريط سمعي، مقابلات مع ما يزيد على مائة من أهل الإسكندرية من جميع المستويات الاجتماعية، جوار، مجتمعات عرقية، انتماءات طائفية ومهنية. قابلنا سكندريون استمروا في العيش في الإسكندرية وآخرون تركوها ولكنهم بدأوا يعودون إليها بحثاً عن وظائف. كان تركيزنا على الأجيال الأكبر سناً، أولئك الذين عاشوا التجربة بالفعل، أو سمعوا عنها من آبائهم وأجدادهم. وبتجميعها، تخلق هذه المقابلات قصة تعيد إلى الحياة "إسكندرية أخرى"، إسكندرية لا تكاد تكون معروفة اليوم. وهي أيضاً قصة لم تروها كتب التاريخ، لأن المدارس ووسائل الإعلام عندنا تقول أن الثورة قضت على نظام فاسد مبهور بالإمبريالية. تقع أهمية القصة ليس فقط على التفاصيل الصغيرة التي تكون الحياة اليومية، ولكن على مفرداتها المتعددة الأصوات الكثيرة التي يتكلمونها.. وعلي قدر من الأهمية أيضاً، هي حقيقة أن القصة التي يروونها تكاد تكون منسية للأجيال الأصغر، ولعلها تحفظ لهم لو أنهم اهتموا بسماعها ليتعرفوا عليها.

الأصول:

• إيزابيل طويل

"أبي فرنسي، جدته من بيرو، ولكنه مولود في باريس وليس في بيرو، وانتهى بزواجه من بوليفية. ولدت في باريس. زوجي من دمشق أصلاً."

• باسيل بهنا

"أصل عائلتي من الموصل في العراق. ننتمي إلى طائفة تدعى السريانية. كان علينا أن نترك العراق في القرن التاسع عشر، حوالي 1830-1840، ليستقر بنا المقام في حلب حتى نهاية القرن التاسع عشر. حينما أتى جدي إلى الإسكندرية فيما بين 1893 و1897."

• نيكوليت مواس، مواليد بنتو

"جاء البننتو من ليفورنو مع جدي الأكبر ديفيد وزوجته، زوج شقيقته وستة أطفال. وفي بحر شهر ونصف، توفي ثلاثة منهم بالكوليرا، تاركين امرأة وستة أطفال. بدأ جدي الكبير العمل في تجارة القطن تاركاً لأطفاله ثروة لا يستهان بها."

• ليلي الدفراوي، مواليد عائلة النشاشيبي

"والدي فلسطيني، ووالدتي أسبانية من القسطنطينية. عائلة أبي، النشاشيبي، عاشت في فلسطين لمدة 800 سنة. كان جدي محافظاً لمدينة القدس."

• إيرين كرم، مواليد كاميليري

"أنا إيطالية. كان جدي يعمل في مالطة ثم نقل إلى الإسكندرية وبقينا هنا منذ ذلك الحين. أمي يونانية. كانت الجالية اليونانية أكبر الجاليات في الإسكندرية."

• نائلة باسيلي

"أصل العائلة من الجزيرة اليونانية كيوس، كان لجدنا سفينة تجارية، وكان يعمل على طريق كيوس وطرابلس في لبنان. مرض في لبنان، وتزوج من لبنانية ثم توفي في طرابلس. كان لديهم ولد واحد، يعقوب باسيلي الذي أصبح جد العائلة. وعليه كان الاسم في الأصل فاسيلي ثم أصبح باسيلي."

• أحمد أبو زيد

"ولدت في الإسكندرية، وكذلك أبي وجدي قبله."

الوصول:

• أناهيد ميراميدجان، أرمنية

"أنا أصلاً من اسطنبول. قدم الخديوي إسماعيل لجدي، زينوب بك ميراميدجان، عشرة أماكن على اليخت الملكي "المحروسة" وقد قبل جدي وحضر إلى مصر مع شقيقته وزوجته، وقام ببناء قصر للإمبراطورة أوجيني على قناة السويس عند افتتاح القناة."

• فاهان ألكسيان، أرمني

"كثير من الأرمن الذين أتوا إلى مصر كانوا من الهاربين من المذابح وإبادة الأرمن العرقية في تركيا وسوريا. وكانوا يودعون الملاجئ في قبرص ومن هناك يُرحّلوا إلى مصر أو لبنان. الكثير منهم اختار اللجوء إلى مصر لأنها كانت بلداً مفتوحاً. وكان المصريون يرحبون بنا دائماً ويقتسموا خبزهم مع اللاجئين الأرمن."

• تاتيانا مونتني، مواليد سريكوف – أندريفسكي، روسيا

"أبوي من روسيا الذين فروا من الثورة وتم إجلاؤهم بواسطة الإنجليز الذين جمعوهم في سفن وأرسلوهم إلى مصر. وكالعادة، كانت مصر رائعة، مضيافة، وقدمت لهم الحماية والمعاملة الحسنة. وخلال عامين أمدتهم بمخيم في سيدي بشر ثم بدأوا العيش في الإسكندرية. تقابل والداي في المخيم وتزوجا. مصر أنقذتنا، لست أنا وعائلتي فقط، ولكن كل جاليتنا التي استقرت هنا واستقبلت بالترحاب. كانت الثورة الروسية دموية جداً وقاسية جداً وكانت المجموعة تشعر بعدم الأمان. كانت مصر هي الرحابة والهدوء والأمان."

• دميس روسوس، يوناني

"اليونانيون المصريون أتوا جميعاً من الجزر، لست أدري لماذا، من الممكن عدم وجود نقود."

• ديمتريوس فنج تشوان، صيني

قدم أبي من الصين عام 1929. كانت السياسة في الصين سيئة في ذلك الوقت، وعليه فضل جدي أن نترك الصين لفترة حتى تتحسن الأحوال. ولكن استقر المقام بنا هنا."

• نايلة باسيلي، لبنانية

"في أوائل القرن العشرين حوالي عام 1900، كانت هناك مجاعة في لبنان وهاجر الكثير من اللبنانيين. من بينهم أسعد باسيلي الذي قدم إلى مصر. لم تكن الأخشاب متوفرة، وعليه بدأ في توريده من لبنان. هكذا بدأت تجارة الأخشاب واستمرت إلى أن أممها ناصر."

ولدت في الإسكندرية، في هذا البيت الذي أصبح الآن متحف الإسكندرية القومي. أستجمع أشياء كثيرة، ترتيب البيت وهذه غرف من؟ وأرى جدتي في سريرها نهرع إلى ضمها كل صباح."

الحياة في الإسكندرية

• إدموند كاسيماتس، يوناني

"كانت الجالية اليونانية تمتاز بالجاليات الأخرى في الإسكندرية و بالمصريين. وهي جزء من النسيج المصري الاجتماعي. فعادات اليونانيين وهواهم وأسلوب كلامهم وطرق معيشتهم شبيهة بطرق المصريين. فعندما نذهب إلى اليونان يقال لنا، "أنتم لستم يونانيون، أنتم من مصر."

• إستر زيمرلي – هاردمان، سويسرية

"كانت المدينة متعددة الثقافات إلى أبعد حد. لم يكن لدينا مشاكل مثل "أنت يهودي" أو "أنت يوناني". كنا جميعاً أصدقاء. كانت هناك صداقات كبيرة بين القوميات. أحببتها خصوصاً لأننا كنا قادرين على الكلام بجميع اللغات طوال اليوم. عندما حضرت إلى سويسرا، لم أسمع سوي الألمانية السويسرية فقط طوال الوقت ولم أجد هذا مسلماً على الإطلاق."

• إيزابيل طويل، فرنسية

"عندما قدمت إلى مصر، كانت جنة الله على الأرض. وجدت بلداً رائعاً وجواً جميلاً وأناساً محبوبين وكرماء وفي منتهى الظرف. وأود أن أقضي أيامي الأخيرة هنا، بروح من الدمثة واللفظ لا يجدها المرء في أوروبا الآن."

• الحاج مصطفى الملا، مصري

"كان يقطن حي كوم الدكة جميع الجنسيات مثل أي حي أرستقراطي، يونانيون، إيطاليون، فرنسيون وألمان. عاشوا معنا كأ أسرة يلعب أبنائهم مع أبنائنا. لم يكن هناك فرق بين يهودي ومسلم ولا تعصب. كان حي كوم الدكة ملئ بالأقباط (مسيحي مصر). كانت المرأة المسيحية ترسل الطعام إلى المرأة المسلمة، وعاش جميعهم مع بعضهم البعض"

كأسرة واحدة لا فرق بين مسلم ومسيحي ويهودي. لكن الإنجليز كانوا محتلين يجوبون الشوارع بملابسهم الحربية وليس بملابسهم المدنية وعليه كانوا يعاملون معاملة مختلفة عن الأجنبي العادي. كنا نكرههم."

• محمد إبراهيم عبد الصمد، مصري

"كان الإنجليز يحتلوننا. كنا نذهب إلى معسكراتهم ونرميهم بالحجارة. كان الأجانب يعيشون بيننا بسلام كجيران، نسأل عنهم ويسألون عننا، أكلنا أكلهم وهم يأكلون أكلنا. كانوا يقولون أن العطارين هو حي الأجانب. كان القليل من المصريين هناك. كان بيتنا مليء باليونانيين، هذا البيت وذاك. كنا نحن الغرباء وهم أهل الحي."

الهوية:

• ديميتريوس فنچ تشوان، يوناني صيني

"أجمع بين الصيني واليوناني، ولكنني منحاز إلى الطريقة الصينية في التفكير أكثر من اليونانية والمصرية، لأن جذوري الصينية عميقة جداً."

• تاتيانا مونتي، روسية

"نحن السلافيون مختلفون عن أي شخص آخر. نحن أعراق متفردة، ولكننا نتكيف. زوجي ساندر، إيطالي، متوسطي، وأفاهم معه جداً، ولكننا مختلفون بوضوح. لست إيطالية لأنني لم أولد إيطالية ولست مصرية. لست أدري من أنا."

• زيزي نيازي - بدر، صربية

"أبي ألباني وجواز سفره صربي. لدينا دم مزدوج أيضاً من ناحية أمي. وفينا بعض دم شمال أفريقي، تونسي أو مغربي. ثم هناك الدم التركي. ومع أن لدينا مثل هذا المزيج من الدماء، إلا أننا 100% مصريون."

• ليلي الدفراوي، فلسطينية

"زوجي مصري، حصلت على الجنسية بعد عامين من الزواج. أبنائي مصريون، وأعتبر نفسي مصرية. عندما يسألني البعض عن أكون، أقول مصرية."

• نادين كامل - تويج، مصرية

"عندما ذهبت إلى باريس، كان علي أن أقول من أين أنا ومن أنا. وبدون وعي أخرج بطاقتي وأجيب فوراً "أنا سكندرية، إنها ليست مثل مصرية أنا مواطنة مدنية."

تعدد اللغات:

• أناهيد ميراميدجان، أرمنية

"لم أذهب إلى المدرسة قط. ففي أيامنا، واحدة أو اثنتين من صديقاتنا ذهبن إلى اللبسيه الفرنسية. ولكننا جميعاً كان لدينا مدرسي لغة فرنسية وإنجليزية في المنزل. بالإضافة كنت أتكلم الإيطالية مع مربيتي القادمة من تريستا. كانت هذه هي لغتي الأولى. ثم كنت أتحدث بالأرمنية مع والدتي، بالفرنسية مع أبي، باليونانية مع الطباخ وبالإيطالية مع وصيفتي. كان أبي يجيد العربية، ولكنه للأسف توفي عندما كنت في الثامنة من عمري، فلم أتعلم الكلام بالعربية."

• إيزابيل طويل، فرنسية

"الإسكندرية أذهلتني. كانت مدينة في منتهى الأناقة حيث كان التداول بجميع اللغات، الفرنسية، الإيطالية، الإنجليزية، الألمانية. أما الفرنسية فتكلمها الجميع."

• ماكس سلامة، مصري

"دراستي كانت بالفرنسية حتى في مدرسة الوحدة اليهودية. نتكلم بالفرنسية أو الإيطالية في المنزل. والدتي تتكلم الإيطالية بطلاقة. كانت اللغة المشتركة الإيطالية الفرنسية قبل أن تسود الفرنسية."

التاريخ الاجتماعي:

أ) المربيات:

• زيزي نيازي - بدر

"كانت لدينا مربيات إنجليزيات، وواحدة منهن تدعى مس جريفيت، تأخذنا للسير على الشاطئ عند الغروب. وكانت كل مرة تقول: "هل ترون الشمس الغاربة؟ ونجيب نعم، مس جريفيت" ثم تستمر، الشمس تغرب ولكن الشمس لا تغرب عن الإمبراطورية البريطانية."

• لوسيت دي صعب

"كنت أحب سائقنا الإيطاليين. وفي الحرب العالمية الثانية، عندما كنا نعتقد أن الألمان سوف يدخلون الإسكندرية، كان الجميع يصرخ باستثنائي. كنت متلهفة. أنتظرهم لكي يأتوا ويحرروا سائقنا الإيطاليين ويحملوا مربياتي الإنجليزية."

ب) العادات التي انقرضت:

• هالة حافظ

"كانت والدتي مهتمة بالكحل بصفة خاصة. وكانت تطلب من الشغالات أن يجمعن الياسمين من الحديقة وكن يجمعنها بكميات كبيرة. وكانت بعد ذلك تصب على الياسمين نقطتين من زيت اللوز ثم تسخن الزهور على نار هادئة وتغطيها. وبعدها، تكشف اللهب الأسود المتجمع داخل الغطاء وتضعه في المكحلة، وعاء الكحل. هكذا كانوا يصنعون الكحل."

ج) التسلية واللعب:

• عمر قريش

"كانت الفترة بين الحرب حيوية. شهد عمي الكبير سارة برنار كما شهد أبي أنا بافلوفا."

• ليلى الدفراوي

"كانت توجد حياة ثقافية ثرية في الإسكندرية. كانت تحضر جميع فرق الباليه، البولشوي، الأوبرا الإيطالية، الكوميدي فرانسيز، إيديث بياف، مالرو..."

• خميس محمد خميس

"لم يكن أولئك الأجانب مهتمون بالطعام والتجارة فقط. بل كانوا يقيمون معرضاً للزهور في إبريل من كل عام ويتنافسوا على الكأس. ففي قصرها كانت السيدة تبحث أمور الحدائق على مدار العام وترعى الزهور لكي يفوز الباشا بالكأس في نهاية العام. وإذا لم يحالفه الحظ، يسود الحداد."

• لوسيت دي صعب

"كنا نذهب إلى الشاطئ في الصيف، سيدي بشر 2، لا أدري لماذا، إلا أنه كان أشيك من 1 و 3. كما كنا نسافر إلى أوروبا أيضاً لمدة ثلاثة شهور في السنة. كنا نذهب في المركب وتأخذ سيارتنا معنا."

• هالة حافظ

"الذهاب إلى السينما كان من المناسبات الهامة. كان على النساء ارتداء فرائهم وبكامل زينتهم."

• ثاليا النقيب

"أذكر أنه كان الكثير من الرقص، حقيقة، خصوصاً الحفلات التنكرية التي كثيراً ما كانت مدهشة، كما أتذكر أيضاً حفلات الشاي مع جميع النساء اللاتي أذهب إليهن لأتعرّف عليهن لأنني كنت العروسة الشابة و كنت متأثرة جداً بالبيوت الجميلة التي كانت لديكم ولكنها لم تعد موجودة الآن، وكرم الناس و حسن ضيافتهم التي مازالت موجودة بطبيعة الحال."

د) العبادة و الأعياد

• إيزابيل طويل، كاثوليكية

"كنا جميعاً نشارك في أعياد بعضنا البعض. رمضان و يوم كيبيور. كانت هناك مسيرات كنسية في الشوارع. كان هناك امتلاء روجي كنت أحب رؤيته ولكنه لا يوجد الآن."

• نيكولت مواس، يهودية

"كانت العائلة من ناحية الوالد معتدلة ولا أقول ملحدة. جدتي من ناحية الوالدة كانت أكثر تديناً فكنا نحتفل بالأعياد بدقة متناهية. ولكن بعد وفاة جدتي عام 1949 لم نعد نقيم تلك الاحتفالات. كان أخي يقوم بالبار ميثزاف، و لكننا نحن

الفتيات لم نفعل شيئاً لأن العائلة كانت ضد الكهنوت. دفن عمى و شقيقه في المقبرة المدنية. كانت هناك بالطبع شجرة عيد الميلاد."

• **زيزى نيازي- بدر، مسلمة**

"حصل أن اجتمع عيد الميلاد و عيد المسلمين في وقت واحد. و عليه أقيمت شجرة عيد الميلاد و الترانيم في الخلفية، و في نفس الوقت كنت أوزع الأطباق المحملة بكعك العيد."

• **حسنى أحمد التركي، مسلم**

"بسبب الأضرحة الكثيرة في ميدان الجوامع، فقد كانت تعقد الموالد لمدة أربعة عشر يوماً. كانوا ينشدون أغاني دينية و يحمدا الله ورسوله، صلى الله عليه و سلم. كانت هناك ألعاب كثيرة في الأعياد، مسرحيات الظل، الأراجوز، كرة القدم، المراجيح. كنا سعداء جدا لنرى هذا الكم من الناس يأتون من جميع أنحاء البلاد ليطلعوا."

هـ) الإنجليزية مقابل الفرنسية:

• **تاليا النقيب، إنجليزية**

"لحظت التأثير الفرنسي الكبير عندما قدمت للمرة الأولى. الطريقة التي تؤثت بها منزلاً، إنها فرنسية ليست إنجليزية. إن أثاث فيلا مسز فيني لم تكن إنجليزية، هل كانت؟ كان فيه الكثير من المفروشات المذهبة والحمراء، و كان هذا كثيراً ما يثيرني لأنه غير انجليزي على الإطلاق. لقد اعتبرته دائماً فرنسياً."

الأزمة المتغيرة

أ) الحرب العالمية الثانية

• **أليساندرو مونتي، إيطالي**

"عندما وضعت الحرب أوزارها، استغرب الكثير من الإيطاليين بأن وجدوا أنفسهم على الجانب الخطأ، لأن مصر تحالفت مع إنجلترا- فكان الإيطاليون الذين بلغوا سنأ معينة يعتقلون في معسكرات - ليست سجونا بالضبط - في فايد على البحر الأحمر. لم يعتقل والذي لأنه كان يدير العمل في الميناء الذي كان يعمل في خدمة مصر، لذلك ليس هناك سبباً لاعتقاله. على العموم، عاش الإيطاليون حياة عادية في مصر. و لم يكن هناك خوف من الأجانب و كرههم."

• **الحاج مصطفى الملا- مصري**

"في بداية عام 1940، هاجرنا إلى السبلاوين. عدنا بعد ستة أشهر. عند الضرب بالقنابل أو الغارات الجوية، كنا نعاود السفر و نمضى ثلاثة أو أربعة أشهر بعيداً. و عليه كنا نعود و نترك كيلا يبقى أبي بمفرده. عندما تنطلق صفارات الإنذار يذهب الجميع إلى الملاجئ أسفل منازلهم إلى أن تنتهي الغارة. كانت أياما صعبة. عشنا حروب 1956 و 1967 و 1973 و لم نر ما رأيناه في الحرب الألمانية."

• **لوسيت دي صعب، لبنانية**

"كانت شقيقتي و المريبة تذهبان إلى نوادي ضباط الانجليز، لطهي البيض لهم. مسز بيكر، زوجة سير بيكر باشا كانت أجنبية، يونانية أو أرمنية. و كانت تقيم حفلة مساء كل سبت. كانت شقيقتي تذهب إليها بانتظام. كانت جميع الشابات تموت حقداً و مستعدة لتقديم أي شيء مقابل الذهاب لمقابلة الضباط الإنجليز. و قد تم الكثير من الزيجات آنذاك."

• **إيزابيل طويل، فرنسية**

"سنوات الحرب كانت الجنون الأعظم. كنا نخرج كل ليلة. بداية، كان عصر البولنديين. و ذلك بسبب الفرق البولندية، لم يعد المرء يري سوى البولنديين.. ثم لم نعد نرى سوى اليونانيين، ثم لا شيء غير هذا أو ذاك فقط. و دائماً كانت هناك الحفلات الخيرية الراقصة تنظمها الجاليات المختلفة: اليونانية، الإيطالية. كانت كوزموبوليتانية فعلاً. كان هناك الكثير من النشاط. الاجتماعي، و رقصات عن اليمين و عن الشمال و في الوسط. كانت غير معقولة. عندما تقدم الألمان نحو العلمين، و التي كانت تبعد 200 كم فقط عن الإسكندرية، فرّ الأجانب الذين كانت دولهم تحارب ضد الألمان إلى القاهرة، تملكهم الذعر، بينما فر اليهود بعيداً حتى الأقصر."

• **جيمي مواس، يهودي مصري**

"عثر لنا أحد القضاة على منزل في قرية و ذهبت إليه العائلة بكاملها و قضت عامين هناك. كانت ساحرة. أصبحت و أبناء عمومتي مقربين من بعضاً كما الإخوة و كانت لنا أياماً سعيدة مع بعضنا البعض. كان في القرية مدير مدرسة عزيز علينا و الذي كان يمدنا بكل ما نحتاج إليه. كانت هناك المربية، و الوالدة التي حاولت أن تعلمنا بعض القراءة و الكتابة. لكننا كنا دائماً نلعب أو نذهب للنزهة أو لزيارة الجيران مثل السيد نمر الذي كان ينعم بأرض زراعية كبيرة. هناك تعلمنا كيف نصنع الزبد و نخبز العيش- ذلك النوع من التعليم."

ب) ثورة 1952

• إدوار خراط

"أعتقد أن ثورة 1952، قد دمرت مفهوم الإسكندرية كعاصمة الدولة الثانية، مُهملة و مُبعدة إلى حد ما، اقتصادياً ،و سياسياً وثقافياً. من الصعب على كاتب أو صحفي يكتب داخل حدود الإسكندرية أن يصل إلى جمهور كبير أو مجموع قراء كبير- على الكتاب أن يتحركوا نحو القاهرة لكي يُقرأوا، لكي يعرفهم الجمهور و ليكسبوا اعترافاً و شعبية."

ج) حرب 1956

• فاهان الكسنيان، أرمني

"ترك الكثير من اليهود عام 1956 ، فكان هذا عصر الازدهار بالنسبة للأرمن الذين خطوا ليحلوا محل اليهود في البنوك و المؤسسات الكبرى."

• عمر قريش، عربي

"أعي كارثة السويس عام 1956 جيداً. كنا في منتهى الخوف فذهبنا إلى دمنهور لقضاء بضعة أيام هناك. كان الضرب بالقنابل و الكل مذعور في الإسكندرية. لم نستمر كثيراً ولكن المؤلم أننا قد فقدنا الكثير من الأصدقاء. و عند العودة إلى بيت العائلة، كان هناك الكثير من الدموع. ذهب جميع الأصدقاء اليونانيين و اليهود، جميعهم ذهب. هكذا كان."

هـ) تأميمات الستينيات

• أسماء البكري، مصرية

"عندما بدأت التأميمات عام 1963 ، حصلت تلك المغادرات المندفعة. لازلت أذكر و أنا طالبة، أن شهراً وراء شهراً، بدأ الفصل يصبح أكثر و أكثر خواء. الناس تترك البلاد، و السفن مليئة. إنها في تلك الفترات التي تمكنا فيها من شراء الكثير من الكتب حيث كان الناس يبيعون كل شيء بسرعة و يخفون خوفاً من أن يودعوا بالسجن."

• عمر قريش، عربي

"ترك الكثير من أصدقائنا أثناء انفصالات عام 1963. ضاع من الإسكندرية بريقها و آخر آثارها الكوزموبوليتانية."

ما بعد القصص

هذا، إذا جزء من القصص الشفهي للمدينة الكوزمبوليتانية كما جمعت في صيغة كتاب بعنوان: أصوات من الإسكندرية الكوزمبوليتانية، والتي جاءت نهايتها في الستينات. وقد حُذِف الكثير منها لاعتبارات زمنية، فلم أشر إلى مدارس أو أماكن عامة أو جوار أو منازل أو بيوت عبادة أو قصص شعبي أو مهن أو نوادي جاليات.. الخ والتي كان من الممكن أن تزيد الصورة ثراءً. ورغم هذا الحذف، إلا أنني أعتقد أن اقتباسي كان مطولاً وذلك لإتاحة الفرصة لأصوات متعددة الخلفيات أن تفضي بمكنونها. والمثير للدهشة أن تلك القصص متماثلة بغض النظر عن رواها. إنها قصص مدينة متعددة الأعراق، متعددة الطوائف، مدينة التسامح والتتوير تفسح المجال واسعاً لازدهار هذا التنوع الثري. كانت الإسكندرية مدينة ثروة، فرصة، ثقافة، أمان، وتسامح ديني.

ويبقى السؤال، ماذا نحن فاعلون بهذا القصص؟ فصيانتها واجب قومي. و أعتقد أن علينا نشره على السكندريين بشكله المكتوب والشفهي. هذا أولاً. وثانياً تعريف العالم به كتحفة أكاديمية. ولنا أخيراً هو درس صحي في التعددية والتسامح ويحفظ تاريخاً وتراثاً للأجيال الحالية الغافلة عنه كلية. هذا الجيل الذي لا يعلم مثلاً لماذا سميت محطات الترام بأسمائها، بولكي، زيزينيا، باكوس، لوران، كما أنه ليست أية فكرة أن الكونت زيزينيا كان موجود أصلاً، ولا علم له بأن متحف الإسكندرية القومي كان منزل تاجر أخشاب لبناني، أو أن مدرسة القلب المقدس كانت هي الأخرى منزلاً لتاجر أخشاب لبناني أيضاً. حتى أن مؤرخينا لا يعلمون عن هذه الحكايات شيئاً، لأنها مادة ليست للتاريخ. هذه الحكايات الخاصة ليست جزءاً من القصص الرفيع للبلد، و لكنها القصة البديلة لمجموعة كانت مهمة سوف ينطفئ بريقها قريباً. وفي غضون السنوات القليلة القادمة، لن يتبقى من ذكراها سوى مبان قليلة لا يعلم تاريخها أحداً، كما ستبدو أسماء بعض الشوارع غريبة خرقاء. وأعتقد أيضاً أن درساً مفيداً يجب أن نتعلمه وهو أن الكوزمبوليتانية أثرت في كل من كان له ضلع في هذه التجربة. تعتقد نادين كاميل تويج، وهي مصرية مقيمة في باريس، أنها منحنتها ميزة خاصة "فبسبب كوزمبوليتنا، وبسبب القصص التي غدنتنا، ليس بوسعنا إلا أن نشعر بأننا أعلى مقاماً أيما كنا. فنحن نعي أننا عشنا حياة أفضل، ونحن هناك كاختيار وليس كضرورة اقتصادية.

ليس لدينا ما نحقد عليه أو نحتاجه. نحن لسنا مهاجرين." حتى الأجانب يشعرون بأن العيش في الإسكندرية كان تأثيره إيجابياً. تقول لنا تاليا البريطانية "كلنا ربح من ميزة الكوزمبوليتانية بسبب إقامتنا هنا، لأن الفرصة كانت لدينا للاختلاط بأناس من جنسيات مختلفة، وجهات نظر أوسع، طريقة تفكير وفهم مختلفة. هذا درس لنا جميعاً، فقد برهن العيش مع الآخر أنها تجربة ثرية من جميع نواحيها، و ليست تهديداً لهوية الشخص أو دينه." ليتنا نتذكر هذا القِصص وننشره ونبدأه برفع نموذج الإسكندرية عالياً، وأنني لأتطلع لمساعدتكم لكي أبدأ.